الإمام الأوزاعي

نسبه ومولده وصفاته الخَلقية:

هو الإمام، الثقة، الثبت، العابد، المحدث، الورع، الفقيه:

عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الاوزاع[1]، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين.

ولد في بعلبك سنة ثمان وثمانين ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها[2].

وكان الأوزاعي فوق الربعة، خفيف اللحم، به سمرة، يخضب بالحناء[3].

وقال صدقة السمين: ما رأيت أحداً أحلم ولا أكمل ولا أجمل من الأوزاعي[4].

وبلغنا أنه كان يعتم بعمامة مدورة بلا عذبة[5].

---

(١) الأوزَاع: بالفتح ثم السكون وزاي وعين مهملة: قرية على باب دمشق من جهة باب الفراديس، وهو في الأصل اسم قبيلة من اليمَنَ، سميت القرية باسمهم لسكناهم بها فيما أحسب، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ١/ ١٩٢.

(٢) الأعلام للزركلي، ٣/ ٣٢٠، تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٧٨.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١١.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ١٣٩.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٢٨.

obeikandl.com

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الأوزاعي بالبقاع يتيماً في حجر أمه، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد، وتأدَّب بنفسه، فلم يكن في أبناء الملوك والوزراء أعقل منه، ولا أورع، ولا أعلم، ولا أفصح، ولا أوقر، ولا أحلم، ولا أكثر صمتاً منه، وما تكلم بكلمة إلا كان المتعيّن على من يجالسه أن يكتبها: من حسنها، وكان يعاني الرسائل والكتابة.

وقد اكتتب في بعث إلى اليمامة، فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير، وانقطع إليه، فأرشده إلى الرحلة إلى البصرة ليسمع من الحسن وابن سيرين، فسار إليها، فوجد الحسن قد مات قبل دخوله بشهرين، وابن سيرين حي، فأخبرنا الأوزاعي أنه أتى بابه وهو مريض، قال فكنا ندخل فنعوده ونحن قيام لا نتكلم، وهو أيضاً لا يتكلم، فلبثنا أياماً، فخرج إلينا الرجل الذي كان يوصلنا إليه، فقلنا له ما خبر الشيخ؟ قال تركته قد لزق لسانه بحنكه، وهو يقول: لا إله إلا الله، ثم مات من يومه ذلك، وكان به البطن.

ولم يسمع منه الأوزاعي شيئاً، وجاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفراديس، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وعلوم الإسلام.

وقد أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم، وحدَّث عنه جماعات من سادات المسلمين، كمالك بن أنس، والثوري، والزهري[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٤، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٥٩.

قال العباس بن الوليد: فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا، تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول: سبحانك، تفعل ما تشاء!

كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه، تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأيته.

يا بني! عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول في نفسي: أترى في المجلس قلب لم يبك؟!.

قال الأوزاعي: مات أبي وأنا صغير، فذهبت ألعب مع الغلمان، فمر بنا فلان ـ وذكر شيخاً جليلاً من العرب ـ ففر الصبيان حين رأوه، وثبتُّ أنا، فقال: ابن من أنت؟.

فأخبرته، فقال: يا بن أخي! يرحم الله أباك.

فذهب بي إلى بيته، فكنت معه حتى بلغت، فألحقني في الديوان، وضرب علينا بعثاً إلى اليمامة، فلما قدمناها، ودخلنا مسجد الجامع، وخرجنا، قال لي رجل من أصحابنا:

رأيت يحيى بن أبي كثير معجباً بك، يقول: ما رأيت في هذا البعث أهدى من هذا الشاب!

قال: فجالسته، فكتبت عنه أربعة عشر كتاباً، أو ثلاثة عشر، فاحترق كله.

وعن محمد بن أيوب بن سويد، عن أبيه: أن الأوزاعي خرج في بعث اليمامة، فأتى مسجدها، فصلى، وكان يحيى بن أبي كثير قريباً منه، فجعل ينظر إلى صلاته، فأعجبته، ثم إنه جلس إليه، وسأله عن بلده، وغير ذلك،

فترك الأوزاعي الديوان، وأقام عنده مدة يكتب عنه، فقال له: ينبغي لك أن تبادر البصرة لعلك تدرك الحسن وابن سيرين، فتأخذ عنهما[١].

مناقبه:

تقواه وعبادته:

كان هذا الإمام الأوزاعي قواماً بالليل، تالياً لكتاب الله ﷻ، سريع الدمعة، غزير العبرة، حتى قال مترجموه: إن أجفانه ذبلت من البكاء، فكان إذا صلى بالليل وأراد أن يخرج اكتحل، وشد أشفار عينيه حتى لا يظهر هذا الذبول.

فالبكاء من أعظم ما يُتقى به ﷻ، قال الله في الأنبياء: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

قال الوليد بن مسلم: ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي.

وقال أبو مسْهَر: كان يُحيي الليل صلاة وقرآناً وبُكاءً[٢].

فلقد كان رحمه الله كثير العبادة، حسن الصلاة، وكان يقول: من أطال القيام في صلاة الليل، هون الله عليه طول القيام يوم القيامة؛ وكأنه أخذ ذلك من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٦ ـ ٢٧][٣].

قال الوليد بن مزيد: كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوي عليه، ما أتى عليه زوال قط إلا وهو قائم يصلي.

وعن ضمرة بن ربيعة قال: حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١٠.

(٢) العبر في خبر من غبر للذهبي، ١/ ٤٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٨.

فما رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم، استند إلى القتب.

وعن سلمة بن سلام، قال: نزل الأوزاعي على أبي، ففرشنا له فراشاً، فأصبح على حاله.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: حدثنا بشر بن المنذر، قال: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

وعن أبي مسهر قال: ما رئي الأوزاعي باكياً قط، ولا ضاحكاً حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يتبسم أحياناً ـ كما روي في الحديث، وكان يحيي الليل صلاة، وقرآناً، وبكاء[١].

ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي، فرأت الحصير الذي يصلي عليه مبلولاً، فقالت لها: لعل الصبي بال هاهنا.

فقالت: لا، هذا من أثر دموع الشيخ في سجوده، وهكذا صبح كل يوم[٢].

عن عبيدة بن عثمان قال: من نظر إلى الأوزاعي اكتفى به مما يرى عليه من أثر العبادة، كنت إذا رأيته قائماً يصلي كأنما تنظر إلى جسد ليس فيه روح.

وقال عقبة بن علقمة: لقيته ـ يعني الأوزاعي ـ يوم الجمعة رائحاً إلى الجمعة على باب المسجد، فسلمت عليه ثم دخل، فاتبعته فأحصيت عليه قبل خروج الإمام صلاته أربعاً وثلاثين ركعة، كان قيامه وركوعه وسجوده حسناً كله[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٢٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٨.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢١٨.

وقال الوليد بن مسلم: كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله ﷻ حتى تطلع الشمس، ويؤثر عن السلف ذلك.

قال: ثم يقومون فيتذاكرون في الفقه والحديث.

وعن الأوزاعي أنه قال: رأيت رب العزة في المنام، فقال: أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقلت: بفضلك يا رب.

قلت: يا رب أمتني على الإسلام.

فقال: وعلى السنة.

ورعه:

قال إبراهيم بن أيوب: أقبل الأوزاعي من دمشق يريد الساحل، أو أقبل من الساحل يريد دمشق، فنزل بأخ له في القرية التي نشأ فيها وهي الكرك، فقدم الرجل عشاءه فلما وضع المائدة بين يديه ومد الأوزاعي يده ليتناول منه، قال الرجل: كل يا أبا عمرو واعذرنا، فإنك أتيتنا في وقت ضيق.

فرد يده في كمه، وأقبل عليه الرجل يسأله أن يأكل من طعامه فأبى، فلما طال على الرجل رفع المائدة وبات، فلما أصبح غدا وتبعه الرجل، فقال: يا أبا عمرو! ما حملك على ما صنعت؟.

والله ما أفدت بعدك مالاً وما هو إلا المال الذي تعرف.

فلما أكثر عليه قال: ما كنت لأصيب طعاماً قلَ شكر الله عليه، أو كُفرت نعمة الله عنده. وكان تلك الليلة صائماً، قال أبو محمد: يعني فلم يفطر[1].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢١٠.

زهده وتواضعه:

صار إلى الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار، يعني من السلطان من بني أمية وبني العباس، فلما مات ما خلف إلا سبعة دنانير، بقية من عطائه، وما كان له أرض ولا دار.

قال العباس: نظرنا فإذا قد أخرجها كلها في سبيل الله والفقراء.

وقال محمد بن عيسى بن الطباع: أهدوا للأوزاعي هدية أصحاب الحديث، فلما اجتمعوا قال لهم: أنتم بالخيار: إن شئتم قبلت هديتكم ولم أحدثكم، وإن شئتم حدثتكم ورددت هديتكم.

وقال محمد بن الأوزاعي: قال لي أبي: يا بني! لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا لأوشك بنا أن نهون عليهم[١].

وعن أبي إسحاق الفزاري قال: ما رأيت أحداً كان أشد تواضعاً من الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منه، وإن كان الرجل لينادي فيقول لبيك[٢].

كرمه:

قالوا: وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم، وكان له في بيت المال على الخلفاء إقطاع، فصار إليه من بني أمية وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار، فلم يقتن منها شيئاً، كان ينفقها في سبيل الله وفي الفقراء[٣].

و قال ضمرة: صليت إلى جانب الأوزاعي بمكة، فلما قام حركني، فذهبت معه إلى منزله، فأتانا بثريد عليه فول مسلوق، قال: فلما خرجنا قال لي: أغاب الشفق؟

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ١/ ٥٠٠.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٥٣.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٩.

قلت: يا أبا عمرو أي شيء الشفق؟.

قال: بقية بياض النهار[١].

وقال أبو هزان: كان الأوزاعي من أسخا الناس، وإن كان الرجل ليعرض بالشيء فينقلب الأوزاعي، فيعالج الطعام فيدعوه[٢].

ونزل الأوزاعي يوماً بالقاع بأهل بيت من أهل الذمة، فرفقوا به فخدموه، فقال لرجل منهم: ألك حاجة؟ قال فشكا إليه ما أُلزم من الخراج، فكتب له إلى عامل الخراج وهو ابن الأزرق، وكان غلاماً لأبي جعفر على الخراج، قال فلما دفعت إليه وضعه على عينيه فقال: حاجتك؟ فذكرها فقضاها له، فلما انصرف الرجل، ذكر لامرأته فقالت: ويحك اهد له هدية، وكان صاحب نحل.

فملأ قمقماً له من نحاس شهداً، وأقبل به إلى الأوزاعي، فلما رآه الأوزاعي، قال: ألك حاجة؟

قال فأمر بقبضة، وسأله عن خراجه، فأخبره أنه قد بقى عليه ثمانية دنانير.

قال: فتجدها؟

قال: قد عسرت عليّ في أيامي هذه.

قال: فدخل الأوزاعي منزله وأخرج إليه الدنانير، فقال: اذهب حتى تؤديها عنك، فأبى.

قال: فخذ قمقمك.

قال يا أبا عمرو وأي شيء ذاك؟ إنما ذاك من نحلي، قال: أنت

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢١٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٥/ ١.

أعلم، إن شئت قبلنا منك وقبلت منا، وإلا رددنا عليك كما رددت علينا، قال فأخذ النصراني الدنانير وأخذ الأوزاعي القمقم[١].

ما يبدأ به طالب الحديث من العلوم:

قال الوليد بن مسلم: كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثاً قال: يا غلام، قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم، قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ فإن قال: لا، قال: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم[٢].

سعة علم الأوزاعي:

قال بدر الدين العيني: الأوزاعي إمام أهل الشام في زمانه في الحديث والفقه.

وقال محمد بن سعد: وكان ثقة، صدوقاً، مأموناً، فاضلاً، خيِّراً، كثير الحديث والعلم والفقه[٣].

وعن أحمد بن حنبل قال: كان الأوزاعي من الأئمة[٤].

وقال الذهبي: أبو عمرو الأوزاعي: إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم[٥].

وعن عون بن حكيم، قال: حججت مع الأوزاعي، فلما أتى المدينة، وأتى المسجد، بلغ مالكاً مقدمه، فأتاه، فسلم عليه، فلما صليا الظهر، تذاكرا أبواب العلم، فلم يذكرا باباً، إلا ذهب عليه الأوزاعي فيه.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢١١.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٣٥/ ١٨٧.
(٣) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للعيني، ٣/ ٢٢٨.
(٤) تاريخ أبي زرعة، ١/ ٥٧.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ١٣٨.

ثم صلوا العصر، فتذاكرا، كل يذهب عليه الأوزاعي فيما يأخذان فيه، حتى اصفرت الشمس، أو قرب اصفرارها، ناظره مالك في باب المكاتبة والمدبر.

و قال صدقة بن عبد الله: ما رأيت أحداً أحلم ولا أكمل ولا أحمل فيما حمل من الأوزاعي[١].

ثناء العلماء عليه:

وأثنى عليه غير واحد من الأئمة، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته.

قال مالك: كان الأوزاعي إماماً يقتدى به.

وقال سفيان بن عيينة وغيره: كان إمام أهل زمانه.

وقد حج مرة، فدخل مكة وسفيان الثوري آخذ بزمام جمله، ومالك يسوق به، والثوري يقول: افسحوا للشيخ.

وقال يحيى بن معين: العلماء أربعة: الثوري، وأبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي.

وقال يحيى القطان عن مالك: اجتمع عندي الأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة. فقلت: أيهم أرجح؟ قال: الأوزاعي[٢].

وقال: ما رأيت أحداً قط أحدَّ نظراً ولا أنفى للغل عن الإسلام من الأوزاعي[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٣٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٥، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٦٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٤٩٨.

وقال سفيان بن عيينة: كان الأوزاعي إمام، يعنى إمام زمانه[١].

قال الحربي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه وبعده أبو إسحاق الفزاري[٢].

وقال إسماعيل بن عياش: سمعتُ الناس سنة أربعين ومئة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة.

وقال عبد الله الخريبي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه[٣].

وقال محمد بن شعيب بن شابور: قلت لأمية بن يزيد بن أبي عثمان: أين الأوزاعي من مكحول؟ قال: هو عندنا أرفع من مكحول.

قلت له: إن مكحولاً قد رأى أصحاب النبي ﷺ.

قال: وإن كان رآهم فأين فضل الأوزاعي في نفسه، فقد جمع العبادة والورع والقول بالحق[٤].

وقال الحسين بن منصور: اجتمع مالك والأوزاعي في مسجد رسول الله (ﷺ) فتناظرا في المغازي فغمزه الأوزاعي ثم تناظرا في الفقه فغمزه مالك[٥].

وعن الوليد بن مسلم قال: قال سعيد بن عبد العزيز: أما رأيت ابن عمرو الأوزاعي؟.

قلت بلى.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٥/ ٢٦٦.
(٢) الوافي بالوفيات للصفدي، ٢/ ٢٥٥.
(٣) العبر في خبر من غبر للذهبي، ١/ ٤٢.
(٤) تهذيب الكمال للمزي، ١٧/ ٣١٤، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١٨.
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٦٩.

قال: فاقتد به فقد كفاك من كان قبله[١].

وعن الوليد بن مزيد قال: قلت لأبي: هل كان الأوزاعي يحفظ القرآن؟

قال: ثكلتك أمك، وأي شيء كان لا يحفظ الأوزاعي؟[٢].

قال الأوزاعي: كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم المزيف، فما عرفوا منه أخذنا، وما أنكروا منه تركنا[٣].

عمَّن أحمل العلم؟

قال الحكم بن موسى بن الوليد: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت النبي ﷺ في النوم والأوزاعي إلى جنبه، فقلت: يا رسول الله! عمن أحمل العلم؟.

قال: عن هذا، وأشار إلى الأوزاعي[٤].

قلت: كان الأوزاعي كبير الشأن.

قال عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا الأوزاعي، قال: رأيت كأن ملكين عرجا بي، وأوقفاني بين يدي رب العزة، فقال لي: أنت عبدي عبد الرحمن الذي تأمر بالمعروف؟

فقلت: بعزتك أنت أعلم.

قال: فهبطا بي حتى رداني إلى مكاني[٥].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ١٨٧، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٧١.
(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢٠٤.
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٥/ ١.
(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ٨٨.
(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ١/ ٥٠٠.

obeikandl.com

الأوزاعي المفتي المجتهد:

عن أبي رزين اللخمي قال: أول ما سئل الأوزاعي عن الفقه سنة ثلاث عشرة ومئة، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، ثم لم يزل يفتي بعد ذلك بقية عمره، إلى أن توفي.

وعن الهقل بن زياد قال: أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، وسئل يوماً عن مسألة فقال: ليس عندي فيها خبر، أي إنَّ الذي أفتيتها كلها كان عندي أخبار(١).

وقال أبو زرعة: روي عنه ستون ألف مسألة.

وقال غيرهما: أفتى في سنة ثلاث عشرة ومئة، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، ثم لم يزل يفتي حتى مات(٢).

وعن عبد الرحمن قال: سئل أبي عنه فقال: الأوزاعي: فقيه متبع(٣).

قلت: كان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدة من الدهر، ثم فني العارفون به وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف(٤).

وقال أبو زرعة الدمشقي: كان اسم الأوزاعي عبد العزيز، فسمى نفسه عبد الرحمن، وكان أصله من سبأ السند، وكان ينزل الأوزاع فغلب ذلك عليه، وإليه فتوى الفقه لأهل الشام لفضله فيهم.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ١٧/ ٣١٤، البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٤، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٦١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٤.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٥/ ٢٦٧.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٨٢.

obeikandl.com

نفاذ بصيرته وفقهه للأمور:

اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام ووعظه، وأحبه المنصور وعظمه، ولما أراد الانصراف استأذنه في أن لا يلبس السواد فأذن له، فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب: الحقه فسله لم كره لبس السواد؟ ولا تخبره أني قلت لك.

فسأله الربيع فقال: لأني لم أر محرماً أحرم فيه، ولا ميتاً كفن فيه، ولا عروساً جليت فيه، فلهذا أكرهه[١].

حدثنا الحواري بن أبي الحواري، قال: دخل الأوزاعي على أبي جعفر، فلما أراد أن ينصرف، استعفى من لبس السواد، فأجابه أبو جعفر[٢].

فائدة صحبة العلماء:

كن عالماً أو متعلماً، ولا تكن الثالثة فتهلك، فإما أن تكون عالماً أو متعلماً؛ لأن بعد هذين الاثنين لا يوجد غير الجهل.

وإذا لم تكن متعلماً، فلا أقل من أن تصحب أهل العلم، كما ذكرنا عن والد الإمام البخاري رحمه الله، عندما قال لابنه: (ما أعلم درهماً من هذا المال فيه شبهة)، فهو ما استطاع أن يتجنب الشبهات فضلاً عن المحرمات، إلا لأنه صاحب أهل العلم، فكان كلما يأتي له نوع من أنواع المبايعات يسأل أهل العلم: أهذا حرام أم لا؟ فيقال له: لا؛ ليس حراماً؛ لكن فيه شبهة، فيترك الصفقة كلها، وإذا كان حراماً يتركها قولاً واحداً.

ولذلك قال بعض طلاب العلم بعد أن سأله رجل: أوصني.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٢٦.

قال له: حيثما كنت فكن بقرب فقيه.

ثم قال له: أفلا أدلك لِمَ أنا أوصيك هذه الوصية؟ قال له: كنتُ رجلاً مجوسياً، فأسلمت، فأتيت الأوزاعي ـ وكان إمام أهل الشام ـ، فأسلمت ثم لازمته، فقال لي: من أي البلاد أنت؟.

قلت: من بلد كذا.

قال: ألك والد؟ قلت: نعم تركتُه مجوسياً.

قال: ارجع إليه فلعل الله أن يهديه بك.

قال: فرجعتُ فوجدتُه في النزع الأخير.

فجعل يرغبه في الجنة ويرغبه في الإسلام.

قال: يا بني! اعرض علي دينك.

فعرض دينه، فاستحسنه، فأسلم، ومات.

فلولا أن الأوزاعي أمره أن يرجع إلى والده، لمات والده على المجوسية والله أعلم.

المكانة التي بلغها الأوزاعي عند العلماء:

الأوزاعي من طبقة الإمام مالك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة، وكان إمام أهل الشام، وقد كان العلماء والأئمة يكبرونه ويجلونه أيما إجلال.

فقد كان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أهل الشام بخيرٍ ما بقي فيهم الأوزاعي وسفيان الثوري، كان إماماً فحلاً جبلاً.

كان سفيان ـ يعني الثوري ـ إذا جاءه كتاب نظر في عنوانه ثم يدسه تحت البوري، فإذا جاء كتاب الأوزاعي فكه وقرأه من ساعته.

عن عثمان بن عاصم أخو علي بن عاصم قال: رأيت شيخاً بين الصفا

والمروة على ناقة، وشيخاً يقوده، واجتمع أصحاب الحديث عليه، فجعل الشيخ الذي يقود الشيخ يقول: يا معشر الشباب كفوا حتى نسل الشيخ.

فقلت: من هذا الراكب؟.

قالوا: هذا الأوزاعي.

قلت: فمن هذا الذي يقوده؟.

قالوا: سفيان الثوري.

وعن مزيد البيروتي قال: ذكر لي رجل من ولد الأحنف بن قيس قال: بلغني أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، قال فحل سفيان رأس البعير من القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ.

وقال سلمة بن كلثوم: جاء سفيان الثوري فدخل على الأوزاعي، فجلسا من الأولى إلى العصر، قد أطرق كل واحد منهما توقيراً لصاحبه[١].

وقال أحمد بن حنبل: دخل سفيان والأوزاعي على مالك، فلما خرجا قال مالك: أحدهما أكثر علماً من صاحبه ولا يصلح للإمامة، والآخر يصلح للإمامة.

قال أبو محمد: يعني الأوزاعي.

وعن أبي إسحاق الفزاري قال: قال الأوزاعي: إذا مات سفيان وابن عون استوى الناس ـ قلت في نفسي: وأنت الثالث ـ يعني الأوزاعي.

قال أبو محمد: يعني أن الأوزاعي قرين الثوري وابن عون[٢].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/٢٠٨.

(٢) المصدر السابق، ١/٣٠٣.

مكانته عند الناس:

كان الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الشام معظَّماً مكرَّماً، أمره أعز عندهم من أمر السلطان.

كان والٍ بالشام قد أراد الأوزاعي على شيء فلم يجده عنه.

قال: فهمَّ أن يؤدِّبه، فقال له بعض من يعتاده: لا تفعل، فإنه لا مقام لك بالشام مع الأوزاعي، فإن يكن من أمير المؤمنين شيء كان من غيرك، قال: فكف عنه.

قال: فبينما هم كذلك إذ جاءه كتاب أن يخرج إلى فلان الشاري، فيقابله.

قال: فقال له أولئك: الآن جاءك ما تحب منه، لو ضربت رقبته لم يجبك فيه بشيء.

قال: فأرسل إليه، فاجتمع، واجتمع من كان يؤلبه على الأوزاعي وغيرهم.

قال: فقال له الوالي: يا أبا عمرو، هذا كتاب أمير المؤمنين يأمر فيه بالخروج إلى هذا الظالم الشاري.

قال: فقال الأوزاعي: حدثني يحيى بن أبي كثير اليمامي أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

فقال له الوالي: أخبرك عن كتاب أمير المؤمنين وتعارضني بغيره؟!.

فقال له الأوزاعي: اسكت، أخبرك عن رسول الله ﷺ وتعارضني بغيره؟!.

obeikandl.com

قال: فأشار إليه بعض من كان يؤلبه عليه بيده أن يسكت.

فقال له: انصرف يا أبا عمرو، قال: فلما قام قال لهم الوالي: هذا رجل معصوم.

وقال الوالي لمن كان يؤلبه: إشارتكم إليَّ أن اسكت لم كان؟ قالوا: لو أشار إلى أهل الشام لضُربت رقبتك[١].

وقد كان الأوزاعي في الشام أمره أعز عندهم من أمر السلطان.

ولما مات جلس عند قبره بعض الولاة، فقال: رحمك الله، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولاني[٢].

فصاحة لسانه وروعة قلمه وبيانه:

كان الأوزاعي لا يلحن في كلامه، وكانت كتبه ترد على المنصور، فينظر فيها ويتأملها، ويتعجب من فصاحتها وحلاوتها، فقال يوماً لأحظى كتّابه عنده وهو سليمان بن مجالد: ينبغي أن تجيب الأوزاعي عن كتبه.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، لا يقدر أحد من أهل الأرض على ذلك، وإنا لنستعين بكلامه فيما نكاتب به أهل الآفاق ممن لا يعرف كلام الأوزاعي[٣].

وعن أبي عبيد الله كاتب المنصور، قال: كانت ترد على المنصور كتب من الأوزاعي، نتعجب منها، ويعجز كتابه عنها، فكانت تنسخ في دفاتر، وتوضع بين يدي المنصور، فيكثر النظر فيها استحساناً لألفاظها.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٥/ ٧.

(٢) تهذيب الكمال للمزي، ١٧/ ٣١٤.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٧.

فقال لسليمان بن مجالد ـ وكان من أحظى كتابه عنده ـ: ينبغي أن تجيب الأوزاعي عن كتبه جواباً تاماً.

قال: والله يا أمير المؤمنين! ما أحسن ذلك، وإنما أرد عليه ما أحسن، وإن له نظماً في الكتب، لا أظن أحداً من جميع الناس يقدر على إجابته عنه[1].

وهذه الموعظة تظهر ذلك:

قال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل، وأنتم فيها مرحلون، خلائف بعد القرون التي استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعماراً، وأمد أجساماً، وأعظم آثاراً، فخددوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجساد كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم، وأخربت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً، كانوا بلهو الأمل آمنين، ولميقات يوم غافلين، أو لصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياناً من عقوبة الله، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمه، وزوال نعمه، ومساكن خاوية، وفيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص، ودنيا مقبوضة، في زمان قد ولى عفوه، وذهب رخاؤه، فلم يبق منه إلا حمة شر، وصبابة كدر، وأهاويل غير، وعقوبات عبر، وإرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذالة خلف، بهم ظهر الفساد في البر والبحر، فلا

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٤٩٩، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١٥.

تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل، وغره طول الأجل، وتبلغ بالأماني، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره وانتهى، وعقل مثواه فمهد لنفسه(١).

قالوا: ثم رحل الأوزاعي من دمشق، فنزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده.

قال: وأعجبني فيها أني مررت بقبورها، فإذا امرأة سوداء، فقلت لها: أين العمارة يا هنتاه؟ فقالت: إن أردت العمارة فهي هذه، وإن كنت تريد الخراب فأمامك، وأشارت إلى البلد، فعزمت على الإقامة بها(٢).

الأوزاعي يناظر الثوري:

تناظر الأوزاعي والثوري في مسجد الخيف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه، فاحتج الأوزاعي بما رواه عن الزهري، عن سالم عن أبيه،أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه، واحتج الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد.

فغضب الأوزاعي وقال: أتعارض حديث الزهري بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف؟!.

فاحمر وجه الثوري، فقال الأوزاعي: لعلك كرهت ما قلت؟.

قال: نعم.

قال: فقم بنا حتى نلتعن عند الركن أينا على الحق.

قال: فتبسم سفيان لما رآه قد احتد(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١٨، البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٥٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٥١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١٢، البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٥.

حفظ هيبة العلم:

كان الأوزاعي إماماً يقتدى به ومنبعاً يستقى منه العلم والعمل معاً؛ لهذا كان يعرف للعلم قدره ومكانته وهيبته.

قال الأوزاعي: كنا قبل اليوم نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا أئمة ينظر إلينا ويقتدى بنا، فينبغي لنا أن نتحفظ.

وفي رواية: فلما صرنا يقتدى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسم[١].

وعن الأوزاعي: أنه ذكر الخردل، كان يحبه أو يتدوى به، فقال رجل من أهل صفورية: أنا أبعث إليك منه يا أبا عمرو، فإنه ينبت عندنا كثير، بري.

قال: فبعث إليه منه بصرة، وبعث بمسائل فبعث الأوزاعي بالخردل إلى السوق، فباعه، وأخذ ثمنه فلوساً فصرها في رقعته، وأجابه في المسائل، وكتب إليه: أن لم يحملني على ما صنعت شيء تكرهه، ولكن كانت معه مسائل فخفت أن يكون كهيئة الثمن لها[٢].

وقال غيره: ما رئي الأوزاعي ضاحكاً مقهقهاً قط، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط[٣].

آمراً بالمعروف:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات، وأكبر المهمات، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع. وقد دلت

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٨٢، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٥/ ٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٥٠٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٤٦.

النصوص على الأمر به، وجعله من الصفات اللازمة للمؤمنين، وسبباً لخيرية الأمة وأن تركه يؤدي لوقوع اللعن والإبعاد ونزول الهلاك وانتفاء الإيمان عمن قعد عنه حتى بالقلب، فلم تكن هذه المعاني تخفى على الإمام الأوزاعي ولو كلفه ذلك حياته.

قال عمرو بن أبي سلمة سمعت الأوزاعي يقول: أُريت كأن ملكين عرجا بي إلى الله فأوقفاني بين يديه، فقال: أنت عبدي عبد الرحمن الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟. قلت بعزتك ربي، فرداني إلى الأرض[١].

عن موسى بن يسار وكان صحب مكحولاً أربع عشرة سنة يقول: ما رأيت أحداً أبصر ولا أنفي للغل عن الإسلام أو السنة من الأوزاعي.

وعن عبد الحميد بن حبيب، قال: لما سوينا على الأوزاعي تراب قبره، قام والى الساحل عند رأسه فقال: رحمك الله أبا عمرو فوالله لقد كنت لك أشد تقية من الذي ولاني، فمن ظلم بعدك فليصبر[٢].

مع بني العباس:

عبد الله بن علي ذلكم الحاكم أدخل الخيول مسجد بني أمية، ثم يتبجح ويقول: من ينكر عليَّ فيما أفعل؟ قالوا: لا نعلم أحداً غير الإمام الأوزاعي.

فيستدعيه، فيذهب من يذهب ليستدعيه؛ فعلم أنه الامتحان؛ وعلم أنه

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٧٩، الوافي بالوفيات للصفدي، ٦/ ٨٨، حلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/ ٢٢.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢٠٦.

الابتلاء؛ فقام واغتسل وتحنط وتكفن ولبس ثيابه من على كفنه، ثم أخذ عصاه في يده واتجه إلى من حفظه في وقت الرخاء.

فقال: يا ذا العزة التي لا تضام! والركن الذي لا يرام! يا من لا يهزم جنده! ولا يغلب أولياؤه! أنت حسبي ومن كنت حسبه فقد كفيته، حسبي الله ونعم الوكيل.

ثم ينطلق وقد اتصل بالله ﷻ انطلاقة الأسد إلى ذاك، وذاك قد صف وزراءه، وصف سماطين من الجلود يريد أن يقتله وأن يرهبه بها، قال: فدخلت وإذا السيوف مسلطة، وإذا السماط معد، ووالله! ما تصورت في تلك اللحظة إلا عرش الرحمن بارزاً، والمنادي ينادي: فريق في الجنة وفريق في السعير.

فوالله! ما رأيته أمامي إلا كالذباب، والله! ما دخلت بلاطه حتى بعت نفسي من الله جل وعلا.

قال: فانعقد جبين هذا الرجل من الغضب ثم قال: أأنت الأوزاعي؟

قال: يقول الناس: أني الأوزاعي.

قال: ما ترى في هذه الدماء التي سفكنا؟

قال: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن جدك ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أنس وعن أبي هريرة وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

قال: فتلمظ كما تتلمظ الحية.

قال: ويحك! أوليس الأمر لنا ديانة؟!.

قلت: وكيف ذاك؟.

قال: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى إلى علي؟.

قلت: لو أوصى إليه، لما قبل حكم الحكمين.

فسكت، وقد اجتمع غضباً، فجعلت أتوقع رأسي تقع بين يدي.

قال: وقام الناس يتحفزون ويرفعون ثيابهم لئلا يصيبهم دمي، قال: ورفعت عمامتي ليقع السيف على رقبتي مباشرة،

قال: وإذا به يقول وما ترى في هذه الدور التي اغتصبنا، والأموال التي أخذنا؟!.

قال: سوف يجردك الله عرياناً كما خلقك، ثم يسألك عن الصغير والكبير والنقير والقطمير؛ فإن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب.

قال: فانعقد جبينه مرة أخرى من الغضب.

قال: وقام الوزراء يرفعون ثيابهم، قال: وقمت لأرفع عمامتي ليقع السيف على رقبتي مباشرة، قال: وإذ به تنتفخ أوداجه ثم يقول: اخرج.

قال: فخرجت، فوالله! ما زادني ربي إلا عزة.

فخرجت، فركبت دابتي، فلما سرت غير بعيد، إذا فارس يتلوني، فنزلت إلى الأرض، فقلت: قد بعث ليأخذ رأسي، أصلي ركعتين.

فكبرت، فجاء ـ وأنا قائم أصلي ـ فسلم، وقال: إن الأمير قد بعث إليك بهذه الدنانير، فخذها.

فأخذتها، ففرقتها قبل أن أدخل منزلي[1].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٨٠، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٢٩، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٢٥.

وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً طاوياً، فيقال: إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الإفطار عنده، فأبى أن يفطر عنده، رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

قلت: قد كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً، سفاكاً للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى، لا كخلق من علماء السوء الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقاً ـ قاتلهم الله ـ أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق[٢].

ذهب وما كان منه إلا أن سار في طريقه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى لقي الله جل وعلا بحفظه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم جاء هذا الحاكم ومر على قبره بعد أن توفي فوقف عليه، وقال: والله! ما كنت أخاف أحداً على وجه الأرض كخوفي من هذا المدفون في هذا القبر، والله! إني كنت إذا رأيته رأيت الأسد بارزاً.

اعتصم بالله، وحفظ الله في الرخاء فحفظه الله في الشدة: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

بعض مراسلات الأوزاعي:

كتب المنصور إلى الأوزاعي: أما بعد، فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في عنقه، فاكتب إليَّ بما رأيت فيه المصلحة مما أحببت.

فكتب إليه: أما بعد، فعليك بتقوى الله، وتواضع، يرفعك الله يوم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، بتصرف، ٧/ ١٢٥.

يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عظماً، ولا طاعته إلا وجوباً[١].

رسالة الأوزاعي إلى أمير المؤمنين شفاعة في زيادة أرزاق أهل الساحل:

كتب الأوزاعي: أما بعد، ولي الله لأمير المؤمنين أموره بما ولي به أمور من هدى واجتبى، وجعله بهم مقتدياً؛ فإن أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ كتب إليّ: ألا أدع إعلامه كلما فيه صلاح عامة وخاصة، فإن الله ﷻ يأجر على من عمل به ويحسن عليه الثواب، وأنا أسأل الله ﷻ أن يلهم أمير المؤمنين من أعمال البر ما يبلغه به عفوه ورضوانه في دار الخلود.

وقد كان أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ قصر بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام سلفاً من عطياتهم، وأمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لامرئ ذي عيال عشرة أو أدنى من ذلك أو أكثر كفاف، وإن قوت عشرة وقتر على عياله، فربما جمع الرجل عشرته في غلاء السعر في شراء طعام لعياله ما يجد منه بداً ثم يدان بعد ذلك في إدامهم وكسوتهم وما سوى ذلك من النفقة عليهم في عشرة لقابل، ولو أجرى عليهم أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ في أعطياتهم سلفاً في كل عام خمسة عشر ديناراً ما كان فيها عن مصلح ذي عيال فضل ولا قدر كفاف، وأهل الساحل بمنزل عظيم غناؤه عن المسلمين، فإنه لا يستمر لبعوث أمير المؤمنين فصول إلى ثغوره، ولا سياحة في بلاد عدوهم حتى يكون من وراء بيضتهم، وأهل ذمتهم بسواحل الشام من يدفع عنهم عدواً إن هجم عليهم، وإنهم إذا كان القيظ تناوبوا الحرس على ساحل البحر رجالاً وركباناً، وإذا كان الشتاء قاسوا طول الليل وقره ووحشته حرساً في

---

(١) المصدر السابق، ٧/ ١٢٥.

البروج والناس خلفهم في أجنادهم في البيوت والإدفاء، فإن رأى أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ أن يأمر لهم في أعطياتهم قدر الكفاف، ويجريه عليهم في كل عام فعل، وقد تصرمت السنة التي كانت تأتيهم فيها عشراتهم ودخلوا في غيرها حتى اشتدت حاجتهم، وظهر عليهم ضرها وهم رعية أمير المؤمنين والمسؤول عنهم، فإنه راع، وكل راع ممسؤول عن رعيته.

وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لحبيب إلىّ أن أفارق الدنيا وليس منكم أحد يطلبني بمظلمة في نفسه ولا ماله**».

أتم الله على الأمير نعمته وأحسن بلاءه في رعيته.

وقد قدم علينا رسول أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ بالعطية من النفقة والكسوة التي أمر أمير المؤمنين ـ عافاه الله ـ بقسمها في أهل الساحل، فقسمناها فيهم من دينار لكل رجل ودينارين وقل المال عن اليتامى والأرامل، فلم يقسم فيهم منه شيء، واليتامى والأرامل وـ هم من المساكين ـ في الوجوه الثلاثة في كتاب الله ﷻ من الصدقات ومن خمس المغانم وما أفاء الله علي رسوله والمؤمنين من أهل القرى، فإن رأى أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ أن يبعث بما يقسم فيهم فعل، جعل الله أمير المؤمنين برسوله ﷺ متشبهاً في رأفته ورحمته بالمؤمنين، وأتم عليه نعمته ومعافاته، والسلام عليك ورحمة الله[1].

مراسلة تخص أهل الذمة:

ذكر صاحب كتاب «الأموال» أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله، وكذلك صاحب «فتوح البلدان» البلاذري وغيرهما من المؤرخين، ما أقدم عليه نفر

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٩٥.

من أهل الذمة ـ النصارى ـ في جبل لبنان أيام العباسيين من نكث للعهود، وحمل للسلاح وإعلان للفتنة والتمرد، وكيف قضى على فتنتهم الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وكيف أقر من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم، ثم كيف شرّد أهل القرى وأجلاهم عن قراهم رغم عدم اشتراكهم جميعاً في هذه الفتنة..

ويذكرون كيف أن إمام أهل الشام، الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ، لم يرضَ بما حلّ بهم، ولم يسكت عن هذا الظلم، فما كان منه إلا أن أرسل رسالة إلى الوالي يقول فيها:

وقد كان من إجلاء أهل الذمة من أهل جبل لبنان، ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه، ممن قتلتَ بعضهم، ورددتَ باقيهم إلى قراهم ما قد علمتَ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يُخرَجوا من ديارهم وأموالهم؟ وحكم الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال: «**من ظلم معاهداً أو كلَّفه فوقَ طاقته فأنا حجيجه**» (أي: خصمه). وأصرّ على الوالي أن يبادر برفع هذا الظلم، وإزالة الحيف عن كاهل هؤلاء المظلومين مبيناً له ضرورة التزام مبادئ الإسلام مهما كانت الظروف.

ولقد استجاب الوالي وفعل ما طلبه الأوزاعي.

هذا على الرغم من أن الذين قاموا بالفتنة من هؤلاء النصارى نكثوا العهد، وكانوا على صلة بالبيزنطيين، يعملون لحسابهم، إضافة إلى ارتكابهم عمليات النهب والقتل وقطع الطريق وترويع الآمنين.

يقول فيليب حتي اللبناني المتأمرك في كتابه (تاريخ سورية ٢/ ١٦٥): «لجأت جماعة من نصارى الجبل إلى السلاح تفادياً لمصادرات جديدة

تنزل بهم، منتهزين فرصة وجود الأسطول البيزنطي في مياه طرابلس، وانقضوا من قاعدتهم وانتهبوا عدداً من قرى البقاع، وكان يتزعمهم فتى قروي عظيم البنية، بلغ من جرأته وتهوره أن أقام نفسه ملكاً، لكن العصابة اللبنانية قيدت بعد حين إلى كمين قرب بعلبك، نصبته لهم فرقة فرسان عباسية وفتكت بهم..».

ولقد أوردتُ في هذا الجانب رواية فيليب حتي لأنه غير متهم بمعاداة هؤلاء بل بموالاتهم وحبهم والحدب عليهم.. ومع ذلك لم يقبل الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ما لجأ إليه الوالي لكسر شوكتهم، احتياطاً وتحسباً لأمر قد يحدث مستقبلاً، فشردهم من القرى في الجبل وأسكتهم غيرها. وأصر عليه بضرورة التزام حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإنفاذ سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. «وقد بلغنا أن حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن لا يؤخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يؤخذ الخاصة بعمل العامة، ثم يبعثهم الله على أعمالهم، فأحق الوصايا أن تحفظ وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

مذهب الأوزاعي في الصحابة:

كان الأوزاعي يقول: ندور مع السنة حيثما دارت.

وعن الأوزاعي قال: اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عمَّا كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما يسعهم.

يا بقية، لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير، وأزيدك يا بقية: ولا أحداً من أمتك، قال بقية: إذا سمعت الرجل يقع في غيره فهو يقول: أنا خير منه.

---

(١) فتوح البلدان، ١/١٦٣ بتصرف.

يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن أصحاب محمد ﷺ فليس بعلم.

و قال: لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلب مؤمن.

وعن الأوزاعي قال: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل.

وعن الهيثم بن عمران قال: قال لي الأوزاعي: أعرى الإسلام تقوى في كل يوم وتزيد، وتنمو أم تضعف وتضحل وترق؟.

قلت: بل تضعف، وتضمحل وترق.

فقال: صدقت، ولو كان القدر من عرى الإسلام لضعف واضمحل ورق، ولكنه بدعة وهو يطول وينمو أو يزيد[1].

كان والله إماماً:

قال أبو إسحاق: لو قيل لي اختر لهذه الأمة سفيان، أو الأوزاعي، لاخترت لها الأوزاعي لأنه كان أكثر توسعاً.

وعن أبي أسامة قال: حدثني الفزاري عن الأوزاعي وكان والله إماماً إذ لا نصيب اليوم إماماً.

وعن نعيم بن حماد قال: سمعت ابن المبارك يقول لو قيل لي اختر لهذه الأمة لاخترت سفيان الثوري والأوزاعي، ولو قيل لي اختر أحدهما لاخترت الأوزاعي؛ لأنه أوفق الرجلين.

وعن عبد الوهاب بن هشام بن الغاز قال: كنا عند أبي إسحاق

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ١/٥.

الفزاري يوماً فذكر الأوزاعي فقال: إن ذاك رجل كان شأنه عجيباً، قال فقال بعض أهل المجلس: وما كان عجبه يا أبا إسحاق؟.

قال يسأل عن الشيء عندنا فيه الأثر، فيقول: ما عندي فيه شيء، وأنا أكره التكلف، ولعله يُبلي بلجاجة السائل حتى يردد عليه فلا يعدو الأثر الذي عندنا، فقال بعض أهل المجلس: هذا شبيه بالوحي يا أبا اسحاق.

قال فأغضبه ذلك وقال: من هذا نعجب! كان والله يرد الجواب كما هو عندنا في الأثر، ولا يقدم منه مؤخراً ولا يؤخر منه مقدماً.

وعن علي بن الحسن بن شقيق قال: كنت في عقد أبي حمزة السكري جالساً مع أبي حمزة إذ جاء عبد الله بن المبارك فقال له أبو حمزة: يا أبا عبد الرحمن ليث بن سعد من هو؟!

رشدين بن سعد من هو؟! حيوة بن شريح من هو؟! قال وعبد الله ساكت، حتى قال الأوزاعي من هو؟! فلم يصبر عبد الله في الأوزاعي، فقال: يا أبا حمزة لو رأيت الأوزاعي لرأيت قرة عين ريحانة، فقال أبو حمزة هكذا، وجعل يتعجب وعبد الله يصفه بأشياء[1].

لا تحدث به ما كنت حياً:

قال أبو الفضل: وقد أدركت محمد بن الأوزاعي هذا وما يشك أهل زمانه أنه كان من الأبدال. قال: قال لي أبي: إني أريد أن أحدثك حديثاً أسرك به، ولا أفعل حتى تعطيني موثقاً أنك لا تحدث به ما كنت حياً، قال قلت: افعل يا أبة، قال حدثنا عبد الرحمن نا أحمد بن عبد الرحيم بن البرقي المصري نا عمرو بن أبي سلمة قال:

سمعت الوليد بن مسلم يحدث قال: رأيت النبي ﷺ في المنام

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٣/ ١٧٢.

فسلمت عليه، وإذا شيخ جالس إلى جنب النبي ﷺ، وإذا الشيخ قد أقبل على النبي ﷺ يحدثه والنبي ﷺ مقبل على الشيخ يسمع حديثه، فسلمت على النبي ﷺ فرد علي السلام، ثم جلست إلى بعض جلسائه فقلت: من الشيخ الذي قد أقبل عليه النبي ﷺ وهو يسمع حديثه؟.

قال وما تعرف هذا؟.

قلت لا، قال هذا عبد الرحمن بن عمرو ـ يعني الأوزاعي ـ، قلت إنه لذو منزلة من رسول الله ﷺ، قال أجل، ثم حانت مني التفاتة فإذا أنا بالأوزاعي قائم في مصلى النبي ﷺ[١].

بشرى أخرى:

عن محمد بن الأوزاعي قال: قال لي أبي: يا بني! أحدثك بشيء لا تحدث به ما عشت: رأيت كأنه وقف بي على باب الجنة، فأخذ بمصراعي الباب، فزال عن موضعه، فإذا رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر يعالجون رده، فردوه، فزال، ثم أعادوه.

قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن! ألا تمسك معنا؟**».

فجئت حتى أمسك معهم، حتى ردوه[٢].

مدة قضائه:

ولي الأوزاعي القضاء ليزيد بن الوليد، فجلس مجلساً واحداً، ثم استعفى، فأُعفي، وولى يزيد ابن أبي ليلى الغساني، فلم يزل حتى قتل بالغوطة[٣].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢٠٩، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٥٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١٢٦.

(٣) المصدر السابق، ٧/ ١١٦.

رؤيا تحكي وفاته:

قال عبيد الطنافسي: كنت جالساً عند الثوري، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب قلعت.

قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي.

فكتبوا ذلك، فجاء موت الأوزاعي في ذلك اليوم، أو في تلك الليلة[١].

وفاة الأوزاعي واجتماع الناس لجنازته:

عن عقبة بن علقمة قال: كان سبب موت الأوزاعي أنه اختضب بعد انصرافه من صلاة الصبح، ودخل في حمام له في منزله، وأدخلت معه امرأته كانوناً فيه فحم لئلا يصيبه البرد، وغلقت الباب من الخارخ، فلما هاج الفحم، صفرت نفسه وعالج الباب ليفتحه فامتنع عليه، فألقى نفسه، فوجدناه متوسداً ذراعه إلى القبلة[٢].

وقال غيره: كان الذي أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام، وذهب إلى حاجة، ثم جاء ففتح الحمام، فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة، رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سالم بن المنذر: لما سمعت الصيحة بوفاة الأوزاعي خرجت، وأول من رأيت نصراني قد ذر على رأسه الرماد، فلم يزل المسلمون أهل بيروت يعرفون ذلك له، وخرجت في جنازته أربع أمم ليس منها واحدة مع صاحبتها، وخرجنا يحمله المسلمون، وخرجت اليهود في ناحية والنصارى في ناحية والقبط في ناحية[٣].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٥٥.

(٢) تذكرة الحفَّاظ للذهبي، ١/ ١٨٢، تذكرة الحفَّاظ للذهبي، ١/ ١٨٢.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢٠٢.

قلت: لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً، واختلفوا في سنة وفاته: فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال: قال أحمد: قال يحيى: رأيت الأوزاعي، وتوفي سنة خمسين ومئة.

وقال الوليد بن مسلم: سنة ست وخمسين ومئة. وقال العباس بن الوليد البيروتي: أخبرني أبي قال: توفي يوم الأحد، أول النهار لليلتين بقيتا من صفر، سنة سبع وخمسين ومئة. وهو الذي عليه الجمهور.

قال العباس بن الوليد: ولم يبلغ سبعين سنة.

قلت: وقال غيره: جاوز السبعين، والصحيح تسع وستون سنة؛ لأنه كان ميلاده في سنة ثمان وثمانين على الصحيح.

وقيل: إنه ولد سنة ثلاث وتسعين، وهذا ضعيف.

وقد رآه بعضهم في المنام، فقال له: دلني على عمل يقربني إلى الله.

فقال: ما رأيت في الجنة درجة أعلى من درجة العلماء، ثم المحزونين[١].

طرف من أقواله:

قال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه بالقول؛ فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.

وقال أيضاً: اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل ما قالوا، وكف عما كفوا، وليسعك ما وسعهم.

وكان يقول: العلم ما جاء عن أصحاب محمد، وما لم يجئ عنهم فليس بعلم[٢].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤٥٥.

(٢) المصدر السابق، ١٣/ ٤٤٩.

وقال: إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث فإياك أن تقول بغيره فإنه كان مبلغاً عن الله.

وقال: خمسة كان عليها الصحابة والتابعون، لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، والتلاوة، والجهاد.

وقال: من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام.

وقال: العمائم تيجان العرب. وكان يقول: اعتموا تزدادوا حلماً.

وعنه قال: ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب ورعه.

وقال: كان يقال ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات[١].

وعن الأوزاعي قال: كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله شيئاً كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم، حتى لو أن حميماً لأحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه، فلا يزالون كذلك حتى يكون قريباً من طلوع الشمس، ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون، فأول ما يقتضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه، ثم يتحلقون إلى الفقه والقرآن.

وعن الأوزاعي قال: طالب العلم بلا سكينة ولا حلم كالإناء المنخرق، كلما حمل فيه شيء تناثر[٢].

وقال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل[٣].

كتبه واندثار مذهبه:

له كتاب (السنن) في الفقه، و(المسائل) ويقدَّر ما سئل عنه بسبعين

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٨٠.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٤٩٩.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ١٣٩.

ألف مسألة أجاب عليها كلها.

ولأحد العلماء كتاب (محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي) نشره الأمير شكيب أرسلان، ولم يعرف مؤلفه عند طبعه، وظن أنه لصالح بن يحيى، ثم وجدته في مصنفات أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد، والأسبانيول يسمونه (Aowzei) و(Auzu).

قال الأمير شكيب: إن هذا يدل على أن أهل الأندلس كانوا يلفظونه (الأوزاعي) بالإمالة، وكانت غالبة على لفظهم[١].

وقال أبو عبد الملك القرطبي في تاريخه كانت الفتيا تدور بالأندلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام المتوفي سنة (٢٥٦)[٢].

وله مسائل كثيرة حسنة ينفرد بها، وهي موجودة في الكتب الكبار، وكان له مذهب مستقل مشهور، عمل به فقهاء الشام مدة، وفقهاء الأندلس، ثم فني[٣].

وكان مذهب الأوزاعي أيضاً مشهوراً بدمشق إلى حدود الأربعين وثلاثمئة[٤].

(١) الأعلام للزركلي، ٣/ ٣٢٠.
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ٦/ ٢١٧.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ١١٧.
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ١٤٣.

opelikamal.com